

القضايا الاجتماعية في مرآة شعر الرصافي

حسين شمس آبادي

أستاذ مشارك بجامعة تربيت معلم بسبزووار، إيران.

اصغر مولوي نافچي

عضو هيئة التدريس بجامعة تربيت معلم بسبزووار، إيران.

غلامرضا گلچين راد

أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية في گرگان، إيران.

Radgolchin@gmail.com

الملخص

ولد معروف الرصافي سنة ١٨٧٥م في مدينة بغداد وكان شاعرا، وكاتبا، وصحفيا متمتعا بمنصب كبير ومكانة اجتماعية مرموقة في الدولة العثمانية. لقد شبَّ الرصافي في عصر كانت تتوالى فيه الأحداث في العالم العربي، وقد خيَّم الجهل، والفقر، والمرض على البلاد العربيَّة خلال أكثر فترات الحكم العثماني.

إن الشعر العربي قد عرف في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بوادر نهضته وازدهاره، واشتمل على موضوعات سياسيَّة، واجتماعيَّة، وحضاريَّة. وإن الأدب وخاصة الشعر قادر على أن يؤثر تأثيرا إيجابيا فعَّالا في صنع التاريخ وفي تحويل مجرى الحياة وتغيير أوضاعها.

البيئة وأحوال العصر دعت الرصافي وغيره من الشعراء إلى الاهتمام بشؤون الوطن، والناس، وحرية الرأي، ونشر العلم، والقضاء على الجهل، وإخراج المرأة من ظلمتها، والاعتماد على النفس، ونشر لواء العدل، وإنصاف الطبقة البائسة، والدفاع عن الوطن، والتشجيع على العمل، والقضاء على الاستعمار والأجانب. إنها موضوعات لاكتها الألسنة، وترددت أصوات دعائها في كلِّ مكان وقد عالجها الرصافي بكل ما أوتي من قوة حتى عرف بـ"شاعر البؤساء" و"شاعر الحرية".

المفردات الدليلية: الأدب، معروف الرصافي، الاجتماع، الحرية، الاستعمار، المرأة، الدين.

المقدمة

أيُّهما يؤدي إلى الآخر، ويغدو عنصراً من عناصر حيويته: الشعر أم الحياة؟ إن الحياة؟ إن سؤالاً كهذا لا يبدو عديم الجدوى، ونحن نتحدث عن الشعر العربي في القرن التاسع عشر والمنتصف الأول من القرن العشرين. وقد تبدو وجاهة هذا السؤال أشد حين يتعلق الأمر بالشعر العراقي أواخر ذلك القرن.

لاشك أن الصلة بين الحياة والشعر صلة أخذ وعطاء؛ إن الحياة الخصبة، كما يرى "روزنتال" إحدى مكونات الشعر: «إنَّ خصب الحياة والطريقة التي نشعر بها والتي نتكلم بها جميعاً حين لا نكون واعين متعمدين، هذه الأمور هي مادة الشعر بالذات.» (روزنتال، ١٩٨٣م: ١٨)

والحياة، من جهة أخرى، لا تنظر في منأى عن هزة الشعر وتأثيره السحري عليها؛ فللشعر لمسة مغيّرة؛ تستدرج الواقعة الحياتية إليها بحنو قاس، لتوقعها في شبكة القصيدة وما يحمل في ثناياها من قوى الخلق. (نفس المصدر: ٩)

كان القرن التاسع عشر، في جزئه العراقي، خاملاً يفتقر إلى الأحداث الكبيرة والأسماء البارزة في الشعر أو الفكر أو السياسة. وإنَّ النصف الأول من القرن العشرين قد شهد مجموعة من الأسماء الشعرية المعروفة وكان من أشهرهم معروف الرصافي. لقد كان هذا الشاعر تجلياً صارخاً لضغط الحياة عليه واستجابته لها استجابة حارة عاجلة. ونحن بصدد البحث والتبيين عن القضايا الاجتماعية التي عالجها معروف الرصافي في مرآة شعره.

سيرة معروف الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥م)

ولد معروف الصافي في بغداد سنة ١٨٧٥م من أصل كردى وقيل أنه يرجع إلى العلويين، وتلقن مبادئ العلوم في مسقط رأسه، ثمّ لزم "محمود شكري الآلوسي"، أكثر من اثني عشر عاماً وأخذ عنه من العلوم الشيء الكثير. ودرّس الأدب العربي ببغداد، واللغة العربية في المدرسة الملكية العالية، والآداب العربيّة في مدرسة الواعظين التابعة لوزارة الأوقاف. ثمّ انتخب نائباً في مجلس المبعوثان العثماني، ثمّ استدعاه أحد أصدقائه للتدريس في دار المعلمين بالقدس. (الفاخوري، ٢٠٠٣م: ١٠١٥)

أخيراً عين في العراق نائباً لرئيس لجنة الترجمة والتعريب في وزارة المعارف، ثمّ أنتخب عضواً في مجلس النواب العراقي. إلا أنه ما عتم أن اعتزل الناس بسبب مجافاة الحكومة له، وذلك

لأنه كان صريحا في آرائه، جريئا في الدفاع عنها، يريد لبلاده تقدما سريعا ورقيا سياسيا، وقضى
أواخر أيامه في عزلة قانعا من الحياة بالكفاف وتوفى في ١٦ آذار سنة ١٩٤٥م.

الحياة الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

إن الشعر العربي قد عرف في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ودار نهضته
وازدهاره، واشتمل على موضوعات سياسيّة، واجتماعيّة، وحضاريّة.

إن الأدب - والشعر جزء منه - قادر على أنه يؤثر تأثيراً إيجابياً فعّالاً في صنع التاريخ وفي
تحويل مجرى الحياة وتغيير أوضاعها.

وهذا ما حمل الشعراء آنذاك على تناول القضايا العامة في شعرهم، فجعلهم يتحدثون عن
الحرية والاستقلال والعدل ونظام الحكم، وعن المجتمع وأحواله ومشكلاته، وعن شخصية الأمة
وتاريخها وحضارتها ولغتها، ويشاركون في البحث عن ذاتها وعن العناصر التي تكوّن هذه الذات
وتحدد معالمها. (بقاعى، ١٩٩م: ١٧)

إن الالتزام الحقيقي، لم يظهر واضحا في ذلك الزمن بصورة عامة لأن الأقوال بقيت منفصلة عن
الأعمال. تدور في النطاق النظري في أكثر الأحيان وقلما تتعداه إلى المجالات العلمية. وقد يكون من
أسباب ذلك، أن الجوار بين الشاعر وبين جمهوره، لم يكن كافياً لتحقيق الالتزام وأن الشعراء كانوا
يفكرون في أكثرهم تفكيراً إلى الروح البرجوازيّة منه إلى إلتزام قضايا الشعب.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، تبدلت ملامح الحياة في البلاد العربية بعض التبدل، ولكن
العرب لم يحققوا ما كانوا يتوقون إليه من وحدة البلاد واستقلالها، وحرية العمل على بعث الحضارة
العربيّة واستعادة العرب لشخصيّتهم ومكانتهم بين الأمم، فقد وجدوا أنفسهم في معظم أقطارهم
يرزحون تحت الحكم الأجنبي، وصار كل همهم متوجها إلى التخلص من هذا الحكم والحصول على
الاستقلال. (نفس المصدر: ١٨)

وزادهم بعدا عن الأهداف الكبرى التي كانت تراودهم قبل الحرب العالمية الأولى، أن بلادهم
أصبحت مفتتة في فترة ما بين الحربين، مجزأة إلى دول صغيرة، بعضها خاضعة للانتداب الفرنسي،
وبعضها للانتداب الإنجليزي، مما يجعل التفكير في الوحدة القوميّة، أو في التخطيط للبعث الحضارى،
أمراً غير واقعي، أو ضرباً من الوهم وأضغاث الأحلام.

ولابد من التنبيه ههنا إلى أن التجديد الذي كان العرب ينشدونه في فترة ما بين الحربين، سواء
في الشعر أو في مرافق العيش المختلفة، لم يكن من إحياء الانتداب الأجنبي أو من إبتداعه، وإنما

كان هدفاً كبيراً من أهداف الفكر العربى، ظهرت بوادره فى القرن التاسع عشر واستمر فى مطلع القرن العشرين وقوى بعد الحرب العالمية الأولى، وكان همّه أن ينقل العرب إلى المستوى العصرى الذى بلغتة دول الغرب. فكل ما فعله الانتداب، أنّه سعى إلى إستغلال هذا الاتجاه، فى سبيل مصلحته، فراح يشجّع ويقدم له مادة من عنده، وكان هدفه من هذا التشجيع أن يقبل أبناء العربية على الثقافة الأجنبية لينهلوا من معينها فيتم له بذلك أمران: (نفس المصدر: ١٩)

أولهما: تحقيق التأثير الذى يريده هو من خلال ثقافته ليكون للدولة المنتدبة حضور فى حياة الشعب الواقع تحت حكمها وفى تفكيره ومستقبله.

ثانيهما: إبعاد العرب تحت ستار التجديد والتطور عن تراثهم الذى يعتبر محور وجودهم القومى وجوهر شخصيتهم.

أحوال العراق الإجتماعية والإقتصادية فى أواخر القرن التاسع عشر

كان العراق لقرون خلت خاضعاً للحكم العثمانى، ولكن قبضة العثمانيين على هذه البلاد، لم تكن قوية ويكاد نفوذ العثمانيين أن يكون اسمياً فى بعض المناطق التى تكوّنت فيها اتحادات قبيلية قوية. يعزى ضعف سيطرة العثمانيين على معظم أنحاء العراق إلى بعد وادى الرافدين عن الأستانة ورداءة المواصلات من جهة، ولشيوخ النظام القبيلى الذى لا ينسجم مع وجود سلطة مركزية من جهة أخرى. وقد خيم الجهل والفقر والمرض خلال أكثر فترات الحكم العثمانى، فصارت البلاد ساحة للحرب والمنازعات وما لحقها من الكوارث العظيمة، مما أدى إلى خراب الديار واندثار مؤسسات الرى التى يتوقف عليها رفاه هذه البلاد بالدرجة الأولى. كان طبيعياً، تحت ظروف كهذه، أن تكون القبيلة هى التنظيم السياسى والاجتماعى الذى يمكن أن يعيش فى ظله الأفراد وأن يمنح هؤلاء الأفراد إخلاصهم وولاءهم لذلك التنظيم دون غيره. (فياض، ١٩٧٥م: ٤٤)

وقد اقتضت سياسة الحكومة العثمانية فى العراق أن تبقى القبائل على ما كانت عليه تشاحن وخلافات فظلت هذه القبائل تتنازع فيما بينها مرّة وأخرى مع الحكومة. وكانت الحكومة تستعين ببعض القبائل الموالية لها لضرب القبائل الثائرة.

وكان المجتمع العشائرى قائماً على نوع من العلاقات والروابط الاجتماعية التى تدور حول "وحدة الدم" أو "العصبية" التى تفرض بعض الحقوق والالتزامات المتبادلة والتى على توحيد وجهات النظر المختلفة وشدّ القبائل والعشائر فتميز بعضها عن بعض.

ولم تقم الحكومة العثمانية خلال حكمها الطويل فى العراق إلا نادراً بإصلاحات إدارية

واقتصادية من شأنها حل مشكلات القبائل المستعصية فهي لم تستطع نشر الأمن في البلاد ولم توطن القبائل وتيسر لها العيش عن تنظيم الرى. كرّست الحكومة معظم جهودها لشنّ الحملات التأديبية على هذه العشائر وبالرغم من كثرة هذه الحملات وقساوتها فإنها لم تؤدّ إلى تفكك الروابط القبليّة والقضاء على نظم القبائل وأعرافها وإنما دفعت الأفراد إلى البحث عن الطمأنينة في تنظيمهم القبليّ. (نفس المصدر: ٤٧)

الوضع الثقافي في العراق

إن الصراع الثقافي في القرن التاسع عشر ظاهرة اجتماعية عامة في العراق. ولكن هذا الصراع يشتدّ ويستفحل في المدن بوجه خاص وقد ازداد شدّة في الآونة الأخيرة، لأن المدن هي المكان الذي تظهر فيه معالم الحضارة الحديثة ومنه تنتشر إلى غيره من الأماكن الأخرى. ولهذا صار المدن تحت وطأة تيارين متناقضين:

أحدهما، يدفعهم نحو التمسك بالقيم البدوية التي ورثوها من آبائهم، والآخر يدفعهم نحو الأخذ بالقيم الحضارية التي بدأت تنتشر بينهم شيئاً فشيئاً. فإلى أيّ مدى يستطيعون أن يوقفوا بين هذين التيارين في أنفسهم؟! ممّا يجدر ذكره أن هذا الصراع الثقافي يتفاوت في شدّته بين مدينة وأخرى حسب عوامل شتى، أهمها:

أولاً: مبلغ سيطرة المدّ البدوي على المدينة.

ثانياً: شدّة انعزالها عن المجتمع الخارجى.

ثالثاً: سعة أسواقها وكثرة الغرباء والمسافرين فيها.

رابعاً: مدى سيطرة الحكومة فيها. (الوردى، ١٣١٣ق: ٢٥٨)

الرصافى شاعر الاجتماع

البيئة وأحوال العصر دعت الرصافى وغيره من الشعراء إلى الاهتمام بشؤون الوطن والناس والموضوعات هي هي: حرية الرأى، نشر العلم والقضاء على الجهل، إخراج المرأة من ظلمتها، الاعتماد على النفس ونبد التواكل والتخاذل، ونشر لواء العدل، وإنصاف الطبقة البائسة، والقضاء على الاستعمار والأجانب. إنها موضوعات لاكتها الألسنة وتردّدت أصوات دعائها في كل مكان، وقد عالجه الرصافى بكل ما أوتى من قوة حتى عرف بـ"شاعر البؤساء".

كان همّه الأوّل أن يوقظ الناس من غفلتهم فيتطلّعوا إلى الوجود تطلّع أحياء ويخرجوا من الجمود

إلى الحركة ومن الخمول والتشنج إلى العمل الذى ينفع ويرفع: (الفاخورى، ٢٠٠٣م: ٥٧٤)

أرى الدهر ليلاً غير مبصر
وإن كان فى رآد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا خابطين ظلامه
وإن ركبوا فى السير متن بخاره
لك الخير هل للشرق يقظة ناهض
فقد طال نومُ القوم بين دياره
ألم تر أنَّ الغرب أصلت سيفه
عليهم وهم لاهون تحت غراره
أما آن للساهين أن يأبهوا له
وقد أصبحوا فى قبضة من إساره

(الرصافى، ٢٠٠٦م: ٤٧٩)

الرصافى والحرية

كثر هم شعراء العراق المعاصرين وكثر أيضاً هم الذين وقفوا إلى جانب الشعب فى مختلف مراحلهم يشاركونه همومه وطموحاته وما ابتلى به من حكم حكام الأجانب وعراقيين وأذلوه بعسفهم وجورهم عليه إن ما أوقعه الحكام الجائرون بالشعب من مظالم على مختلف العصور تصدى لها الكثير من المثقفين وفى الطليعة كان الشعراء قبل تأسيس الحكم الوطنى فى العهد العثمانى بزغ نجمان للعشر فى وادى الرافدين هما: الزهاوى والرصافى التصاقاً بهموم الشعب وأكثر مداومة على طرح ما يأخذ بيد العراق والعراقيين من أسباب التقدّم والتطور متجاوزاً كل من شأنه يلحق به من ضرر شخصى فراح يستنهض الشعب ويبث فيه العزم والإقدام لتغيير واقعه وبجرأة متناهية، أقدم ليس على كشف ما يحجب رؤى المجتمع من سجع الجهالة والتخلف بل عراها ومزقها، علانية أمام الملأ وبصراحة متناهية، طارحاً البديل لها ومنذ أن كان العراق خاضعاً لحكم الإمبراطورية العثمانية طالب بتنحية السلطان عبدالحميد وهذا موقف له لم يسبقه إليه شاعر عربى من قبل. استمر فى نقد الحكم وفضح الحكام بجرأته المعهودة حتى بعد أن نال العراق استقلاله، أو ما يسمّى بالحكم الوطنى وأثناءه وحتى وفاته فى منتصف الأربعينات لم يهادن الحكام أو فساد حكمهم ووضع أصبعه على الأسباب الحقيقية التى تعيق نهوضه وتطوره فالخلاص من المحتل والتحرر من الحكم الأجنبى ضرورة للتقدّم والرقى لا يقلّ تأثيره على واقع المجتمع العراقى وتخلفه.

اشتهر الرصافى "شاعر الحرية" بما نظمه من أشعار ثورية ملتبهة ولما عالجه من قضايا اجتماعية وسياسية وقد كان الرصافى منذ نعومة أظفاره يدافع ببسالة عن قضايا وطنه فلم يفتأ يقاوم الاستعمار ويدافع عن حرية الوطن وعدم الانخداع بأحاييل سياسة المستعمرين وأراجيفهم التى كانوا يخدعون بها الشعوب وقد دفع الرصافى الكثير من حرите الشخصية ثمناً باهضاً لمواقفه الثورية النبيلة

إزاء الحكم القائم آنذاك. (خورشا، ١٣٨١ش: ٩٥)

كان الرصافي يؤمن بحرية الفكر ويعتبر أن حق الإنسان بها حق مقدس وكان يعتقد بأن البلاد العربية لا يمكنها أن تنهض ما لم تتوافر فيها هذه الحرية وهو يحتضن حرية الفكر قولاً وعملاً ويخلص لها أشد الإخلاص ولعلّ تمسّكه بها كان من أهم الأسباب التي جعلته مضطهداً من قبل الحاكمين. يقترن بحرية الفكر والصدق والصراحة والجرأة والحق، والاستقلال في الرأي وقوة الشخصية وفهم الأمور على حقيقتها ونمو الرأي العام.

وفي قصيدة عنوانها "في سبيل حرية الفكر" قال الرصافي:

كتبت لنفسي عهد تحريرها شعرا وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهرا
ومن بعد إتمامي كتابة عهدها جعلتُ الثريا فوق عنوانها طغرا

(الرصافي، ٢٠٠٦م: ١٤)

فالشاعر قد بدأ بتحرير نفسه وجعل شعره يلتزم هذا التحرير مشهداً عليه الدهر مسجلاً في التاريخ عهداً وثيقاً، ممهوراً بأضواء الثريا ليغدوا أشد ما يكون وضوحاً وطبيعي أن يرافقه تحرير النفس. جهر بقول الحق وبعد عن الرؤيا.

فالرصافي يدعو إلى استقلال العرب في الرأي والعقيدة والتفكير والقول والوسائل الإعلامية المختلفة وفي الثقافة والتربية والتعليم والفن. لذلك يعتبر أن حرية الفكر هي أمّ الحريات وأن الأوطان لن تستقل في سياستها ما لم تستقل في تفكيرها. ولعلّ من أبرز قصائده المشهورة التي أنشد حول الحرية قصيدة "الحرية في سياسة المستعمرين"

هذه القصيدة هي من النوع الساخر الخفيف وهذا ما جعلها سهلة الفهم مقبولة لأذن المستمع، ميسورة على الذهن والفكر والوجدان يقول الشاعر مخاطباً بني وطنه:

يا قومُ لا تتكلموا إن الكلامَ محرّمٌ
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُومُ
وتأخروا عن كلّ ما يقضى بأن تتقدّموا
ودّعوا التفهّم جانباً فلخيرُ ألا تفهموا
وتتّبثوا في جهلكم فالشرُّ أن تتعلموا
أما السياسة فاتركتوا أبداً وإلا تندموا

(الرصافى، ٢٠٠٦م: ٥٨٤)

يا قوم احرصوا ولا تتكلموا بالكلام عليكم محرم وناموا لأن النائم فى هذا الزمن هو الفائز وتأخروا عن ركب الأمم واتركوا كل أسباب التقدم واجهلوا لأن العلم شرّ كل الشرّ وأتركوا الاشتغال بالسياسة وإلا ندمتم.

الرصافى والمرأة

إنّ الفضل فيما توصلت إليه المرأة العربية والعراقية خاصّة، من حرية وثقافة إنما يعود إلى بضعة أفراد بذلوا غاية الجهد فى هذا المضمار وعلى رأسهم "قاسم أمين" و"حافظ إبراهيم" فى مصر و"الزهاوى" و"الرصافى" فى العراق.

المرأة وتحرّرها تشغل حيزاً كبيراً فى معالجات الرصافى وهذا دليل على أنه ليس راضياً عن وضع المرأة عموماً المرأة يصفها الرصافى بأنها ذليلة وخاضعة وإنما هذا الذلّ والخضوع متأتّ من الرجال الذكور الذين يغرقونها أكثر فى الذل والضعف:

ما أهون الأنثى لدى ذكراننا	فلقد شجاني ذُلّها وخضوعها
ضعفت فحجبتها البكاء لخصمها	وسلاحها عند الدفاع دموعها
هى متعة المستمتعين وليتها	كانت لزاماً لايحوز مبيعها
فوليتها عند الزواج يبيعها	وحليلها عند الطلاق يضيعها
وكلاهما متحكّم فى أمرها	هذا يعرّبها ذاك يجيعه

(نفس المصدر: ٤٧٨)

إذن فالمرأة ذليلة، خاضعة، لعبة فى يد الأب أو الوالى والزوج وهى بين الاثنين ضائعة لاتعرف ما تفعل.

إذن الجهل ونقص الميراث والظلم كله يلحق هذه المرأة المسكينّة ورغم ذلك فهى تحبس فى البيت، تمنع من الخروج منه، تمنع من العمل، وأخذ القوت لها هذه المرأة التى جهلت وظلمت وحُبست لا بدّ أن تعيش البؤس والخنوع وهذه حالة مزرية ومؤلمة لكلّ إنسان يشعر بما تكابده هذه المرأة الإنسانيّة.

ما تصنع المرأة محبوسة	فى بيتها إن أصبحت معدمته
ضاقت بها العيشة إذ دونها	سدّت جميع الطرق المعلمة
عاب عليها قومها ضلّة	أن تكسب القوت وأن تطعمه

فانقطعت فى العيش أسبابها وأصحبت للبوّس مستسلمة
فهذه حالة نسواننا وهى لعمري حالة مؤلمة

(الرصافى، ٢٠٠٦م: ٣٥٩)

وبعد هذا الوصف الذى يتكرّر سوء حال المرأة العربية أو المسلمة والأمور المشتركة بينهما، يرفع الرصافى صوته منادياً بأن وضع المرأة المسلمة ليس طبيعياً ولا شرعياً ولا قانونياً أن الإسلام نادى بحرية المرأة، ومشاركة نضال المرأة، وتكريم المرأة تعلق صرخة الرصافى:

ما هكذا يا قوم ما هكذا
يا امرنا الإسلام فى المسلمه
فهل بكم من را حم للنسا
فهن أولى الناس بالرحمه

(نفس المصدر: ٣٦١)

فالرصافى يصحّ نظرة الناس المشوّهة إلى الإسلام وتعاليمه ويطالب بحقّ المرأة فى الحياة الكريمة والخروج إلى العمل واكتساب العلم.

ولا يكتفى الرصافى بهذا، بل يعرض حالة زواج المرأة الشابة بالرجال الكبار السنّ لمجرد أنهم يملكون الأموال، فيبيع الآباء بناتهم طمعاً فى الأموال:

ظلموك أيتها الفتاة بجهلهم
مذ أكرهوك على الزواج بأشيبا
طمعوا بوفر المال منه فأخجلوا
بفضول هاتيك المطاعم أشعبا

(نفس المصدر: ٣٤٤)

يشرح الشاعر الزواج ومفهومه فالزواج بيت يُبنى على الحبّ والودّ والتفاهم. الزواج بيت على مهر قليل وحبّ كبير. الزواج بيت بطرفيه الرجل والمرأة اللذين يجب أن يتعارفا ويلتقيا ويتناقشا. الزواج بيت يبنى بامرأة مهذبة أديبة متعلمة لا جاهلة:

بيت الزواج إذا بنوه مجدداً
بالمال لا بالحبّ عاد مخرباً
إنّ الزواج محبه فإذا جرى
بسوى المحبة كان شيئاً متعباً
خير النساء أقلها لخطيبها
مهراً وأكثرها تحبباً
وإذا الزواج جرى بغير تعارف
وتحابب فالخير أن تترهباً
شرف المليحة أن تكون أديبة
وحجابها فى الناس أن تنهباً

(نفس المصدر: ٣٤٦)

المرأة يجب أن تنهض؛ هكذا نادى الرصافى. والمجتمع يجب أن ينهض، والشرق يجب أن ينهض

وكيف ينهض الشرق، ونصف أفراده محبوسات مفلوجات. لا يقدم الشرق ونصفه مفلوج ولا يتقدم الرجل والمرأة محكومة.

من أين ينهض قائما من نصفه يشكو سقام بفالج متوصبا
فإذا أذعيت تقدما لرجاله جاء التأخر في النساء مكذبا
كيف البقاء له بغير تناسب والدهر خصص بالبقاء الأنسبا

(نفس المصدر: ٣٤٨)

ويرأيه الأم فهي المدرسة الأولى إذا هذبتها هذبت الشعب وإن أهملتها أهمل الشعب معها وركبته الذلة والمسكنة.

فحزن الأم مدرسة تسامت بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا بأخلاق النساء الوالدات

(نفس المصدر: ٣٥١)

مكافحة الإستعمار في مرآة شعر الرصافي

لانكاد نمضي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حتى نجد البلاد العربية، التي كانت تن تحت وطأة الاستبداد العثماني نحو أربعة قرون تستيقظ شيئا فشيئا وتعرف نفسها وتشعر بكثير من حقها وتحاول الخلاص من سيطرة العثمانيين وحين كانت العرب تنتبه إلى أن الحياة التي تعيش فيها ليست تليق بالإنسان الشريف الكريم، كان الاستعمار يسوغ سياسته العدوانية وادعى لنفسه حق تمدين الشعوب المستضعفة فلم تكد البلاد العربية - وعلى رأسها مصر - تتخلص من الاستبداد العثماني حتى تصاب بالاستعمار الخارجي، فتم احتلال مصر إثر الثورة العرابية للإنجليز الذين ساعدتهم في ذلك الحكام ثم وجد الحلفاء في الحرب العالمية الأولى فرصة لتحقيق أطماعهم المشتركة فاجتمعوا خلالها سرا واقتسموا بينهم الشام والعراق، هكذا أصبحت سوريا ولبنان فريسة لفرنسا والعراق ومصر لبريطانيا.

فبالأمس القريب كان الاستعمار الإنجليزي للعراق والذي هيمن عليه بعد ضعف الدولة العثمانية وكان للاستعمار الإنجليزي مآربه ومقاصده وأهدافه التي حددها وسعى لها.

ومعروف الرصافي ذلك الشاعر الكبير العربي الذي قاوم الاحتلال الإنجليزي بكل أوتى من قوة. فالرصافي كان مدركا للغة المستعمر والحرية التي يريد أن يعتنقها الناس ويؤمنوا بها فلقد استباحوا بحريتهم سفلى الدماء وإشعال الفتن في كل بقاع البلاد وها هي أسنانهم مازالت تقطر منها

الدماء وأظفارهم وأيديهم تحمل أشلاء الشهداء بين طياتها فهذا هو معنى الحرية عندهم ومن يعارض فمصيره معروف لأن مفهوم الحرية عند المستعمر هو إعدام حرية الغير ولقد برع الشاعر معروف الرصافي في وصف النهج السياسي للمستعمر في العراق بشعره "الحرية في سياسة المستعمرين" الذي ذكرناه من قبل.

كما ينتقل الرصافي من وصف امتحل إلى وصف الحكومات العاملة تحت الاحتلال فيبيع في وصف الحكومة السابقة والحالية تحت الاحتلال:

كذب وكلّ صنيعها متكلف	هذه حكومتنا وكلّ شيوخها
بالأجنبي وظاهر متكشف	وجهان فيها باطل متستر
والظاهر المكشوف فيه تصلف	والباطن المستور فيها تحكم
كلُّ عن المعنى الصحيح مُحرّف	علمٌ ودستورٌ ومجلسُ أمةٍ
أما معانيها فليست تعرّف	أسماء ليس لها سوى ألفاظها
كادت لفرط حيائها تتقصف	هذه كراسيُّ الوزارة تحتكم
كل بسلطته عليكم مشرف	أتم عليها والأجانب فوقكم
فيه الحساب كما يطول المتوقف	لا بُدَّ من يوم يطول عليكمو
يوماً تنور فيه الجيوش وتزحف	الشعب في جزع فلا تستعبدوا

(الرصافي، ٢٠٠٦م: ٦٠٢)

نعم إن الرصافي الشاعر العظيم أحسن التصوير والوصف لحال الأمة العراقية مع وزرائها ومستعمرها فلقد دلت تلك الأبيات على وطنية وغيره وصوت جهور لا يخشى صولة الباطل فيصف الحكومة التي تعمل لحساب المستعمر وتحاول خدع الشعب لحسابهم فتشاركهم وتساعدهم على امتصاص دماء الشعب والقضاء على الوطنية الصادقة وتعيش بوجهين فهي محكومة بالسلاسل في قبضة الأجنبيّ ذليلة أمامه يسير كيف شاء كما أنها تأخذ السلاسل لتطوق بها جيد الشعب العراقي كما تشدّ على عنقه بغلظة وشدّة في تكبر.

لقد خاطب الرصافي بلهجته الوطنية الغيورة على العراق الوزراء العراقيين تحت حكم المحتل ويتعجب من تصرفاتهم باسم الحكومة والمسئولية وهم لا يستطيعون التصرف في مرافق الدولة ومواردها ويعنفهم أشدّ التعنيف على تخاذلهم أمام الأجنبيّ المستعمر إنجليزيا كان أو أمريكيا.

كما يحيل الرصافي الوزراء العراقيين إلى الكراسي الحكومة التي يجلسون عليها حيث أن تلك

الكراسى كادت من فرط خجلها أن ينكسر تحتهم خجلاً وغلبيطاً من تصرفاتهم المنافية لجميع أنواع الوطنية والمروءة الإنسانية حيث يجلس الوزير على الكرسى والأجنبي فوق الوزير ليقوده حسب رغبته.

وقد وجه الرصافى رسالة قوية للوزراء فقال كيف تقتنعون بمجرد الجلوس على كراسى الحكم وأنتم مقيدون بالأغلال إنكم إن رضيتم بهذا فإنكم تخونون أنفسكم ووطنكم بسماعدتكم للمحتل الغاصب لوطننا ولن ينسى لكم التاريخ هذا أبداً، فلا بد من أن يأتى يوم تتكتل فيه القوى العراقية الغيورة على العراق.

الرصافى والعلم والجهل

يرى الرصافى أن السبب الرئيس فى تخلف الشرقيين عامة والعرب خاصة هو انتشار الجهل فى ربوعهم لأنه عمى يفضى على البصيرة ويخفق الطموح ويحشر الناس فى بؤرة من الجمود الفكرى والتورم الفارخ، والاكتفاء بالمذلة مقاماً والتطلع إلى الماضى واجترار بقاياها فى غير جدوى. إنه أصل كلّ علة أما العلم فهو النور الذى يهدى الفكر الذى يبديع واليد التى تصنع والعرب كانوا قلب العالم عندما كان العلم ساطعاً فى ديارهم ففى عهد بنى العباس وبنى أمية والأندلسيين كانت جامعاتهم منائر الوجود، كان علماءهم وحكامهم قادة للفكر الإنسانى وروحاً للحضارة العالمية فأين هم اليوم من أجدادهم وأين حضارتهم، وأين الأدمغة التى كانت تحكم بالعلم واحترام الإنسان وروح العدل والانصاف؟ (الفاخورى، ٢٠٠٣م: ٥٧٩)

يعتقد الرصافى الفخر إنما بالعلم والفخر الحقيقى إنما يكون بالعلم وليس بأمور أخرى والوصول للعلم هو الهدف الشريف الذى يجب على المرء أن يقتحم الصعاب فى سبيل الوصول إليه. لم لا أو ليس العلم الهدف الأسمى فى الحياة؟

سل بنا العم والفنون جميعاً هل ملكنا بغيرها الأقطارا

(الرصافى، ٢٠٠٦م: ١٩٥)

إذن فالسلاح علم والسلاح فن والسلاح ماضٍ وفعال وكأنّ الرصافى قد سيطر على نفسه هاجس العلم سيطرة كاملة فهو لا يدع سانحة من سوانح الكلام إلا بين مضارّ الجهل وفائدة العلم وهو يرى فى الدعوة إليه إخلاصاً للوطن وإخلاصاً للشعب.

إذا ما عَقَّ موطنهم أناس ولم يبنوا به للعلم دورا

فإنّ ثيابهم أكفان موتى وليس بيوتهم إلا قبورا

أرى لبّ العلى أدباً وعلماً

بغيرهما العلى أمست قشورا

(نفس المصدر: ١٧٦)

وهو لذلك يريد تكثيف المادّة العلمية فى المدارس ويدعو إلى التخصّص وعدم الاكتفاء بالقليل، فبقدر ما يزداد التحصيل العلمىّ تزداد قوّة وازدهاراً ويقدر ما يكرم العلم وذووه يزداد الإقبال عليه والاستفادة من خيره وهو يضرب فى ذلك مثل الغرب وما آلت إليه حاله فى العهد الحديث وكيف استطاع بالعلم أن يمتلك الدنيا بأسرها وأن يمدّ سلطانه على الكثرة الأرضية من القطب إلى القطب. والرصافى الذى يطلب تعميم التعليم فى البلاد يريد فى التعليم أن يقترن العلم بالأخلاق وبالعمل لأن العلم الذى لا يقترن بالعمل كالشجرة بلا ثمر :

حتى نطاول فى بنيانها زُحلا

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملأ

بل علموا النشاء علما ينتج العملا

لا تجعلوا العلم فيها كلّ غايتكم

فأنبتوا فى ثراها ما علا وغلا

هدى مدارسكم شروى مزارعكم

أعنى بذلكم الأهواء والنحلا

لا تتركوا الشوك ينمو فى منابتها

ممهدين إلى المحيا بها سُبلا

وأسسوها على الأعمال قائمة

(نفس المصدر: ١٦٣ و١٦٤)

ففى قصيدته "المدارس ونهجها" وبعد أن يتكلم عن العلم والذلّ والظلام، هو يدعو إلى توجيه كلّ الاهتمام إلى التعليم النظرى فقط بل إلى الالتفات إلى الشؤون العلمية إلى العلوم التطبيقية ويصوّر الرصافى المدارس كأنها مزارع يجب أن ينتقى صاحبها ما يزرع من نباتات مفيدة مثمرة وإلا نبت الشوك وأكل خيرات الأرض فالعلم النظرى وحده لا يفيد. إذن برأيه المدرسة ليست مجردّ تعليم نظرى يخرج طلاباً يعرفون القراءة والكتابة. المدرسة لها هدف أكبر وأسمى.

المدرسة لاتخرج الأساتذة فقط بل يجب تخرج العالم إلى جانب الفنان وإلى جانب المخترع وإلى جانب البطل وإلى جانب الفلاح والمتكلم.

وفى قصيدة "منزلة المعلم فى المجتمع الإنسانى" يعتقد إن كان جهالة الناس سبب لضلالهم فلا بُدّ لهم طريق للعلى إلا التعليم، والمعلم أولّ من أمر الناس بالتهوض ويدعوهم إلى سرعة القيام به إذا ساء حياتهم ومنزلة المعلم فى البلاد كطبيبيهم يداوى سقام الجهل إذن فهو يقول:

فليس سوى التعليم للمرشد سُلّم

إذا كان جهل الناس مدعاة غيبيهم

إذا ساء محياهم لقلت: المعلم

ولو قيل من يستنهض الناس للعلأ

معلم أبناء البلاد طبييهم يدواى سقام الجهل والجهل مسقم
وما هو إلا كوكب فى سمائهم به يهتدى السارى إلى المجد منهم

(نفس المصدر: ٢٠٢)

الرصافى والوطن

والرصافى على ما كان عليه من نكد الحظ وسوء الحال، لم يهاجم أبناء وطنه بل كان هجاؤه
ينصب على الأجنبيّ فقد كانت روحه السمحة الأبية، ترى جفوة وطنه له، شيئاً جميلاً يقدّم له الوطن
كما يتناول العاشقون أحياناً جفوة أحيائهم، فقال قوله المتصوّف: (عزالدين، لاتا: ٩٣)

إن جفتنا أوطاننا فهى حبّ ومن الحبّ يستلذ الجفاء
لم نحل عن عهودها مذ جفتنا بل لها الود عندنا والوفاء
قد بكينا شجواً عيها ومنها وعناناً سقامها والشقاء
كم أردنا سخطاً عليها ولكن غلب السخط فى القلوب الرضاء
إنما هذه المواطن أمّ مستحق لها علينا الولاء
إن خدمنا فلانريد جزاء ومن الأم هل يريد الجزاء

(الرصافى، ٢٠٠٦م: ٢٣٣)

وحبّ الإنسان، هو الذى يفرض عليه أن يغضى عن سيئات أبناء شعبه لأنه يرى نفسه قطعة من
هذا الشعب فما عليه إلا أن يكون صريحاً فى قوله، جريئاً فى معالجة مشكلاته.
وقد كان شعره مثلاً واضحاً فى ذلك، وهو على الشقاء الذى حاق به لتجاهل الوطن لحقه نراه
يترنم وقد دهمت الوطن المصيبة بعد ثورة ١٩٤١م قائلاً:

وطن عشت فيه غير سعيد عيش حرّ يابى على الدهر عوجه
أتمنى له السعادة لكن ليس لى فيه ناقة متوجه
أخضب الله أرضه ولوانى لست أرعى رياضه ومروجه
كلّ يوم بعزه أنغنى جاعلاً ذكر عتزه أهز وجه
ما حياة الإنسان بالذل الأ مرّة عند حسوها ممجوجه

(الرصافى، ٢٠٠٦م: ٦٠٨)

وقد رضى الرصافى بالعيش فى وطنه، رغم إحساسه بسوء حياته ونكده فيه، لأنه يحبّ الوطن،
ولا يرى سوى بديلاً.

تأثر الرصافى بالنظرية الماركسية

«كل ما كتبت من نظم ونثر، لم أجعل هدفى منه منفعتى الشخصية، وإنما قصدت به منفعة المجتمع الذى عشت فيه، والقوم الذين أنا منهم، ونشأت بينهم» بهذا القول يختصر معروف الرصافى حقيقة التزامه، ورؤيته الواضحة لرسالة الأدب فى الحياة شعراً ونثراً وإيمانه بأن الشعر ذو هدف اجتماعى يسمو به عن المنافع الشخصية ليصبح عاملاً من عوامل التغيير والتطوير والبناء الحضارى لدى الأمم وبموجب ذلك يغدو الشاعر ومسؤولاً اجتماعياً وقومياً، وتحدد الغاية من وجوده بالتزامه خدمة المجتمع الذى يعيش فيه والأمة التى ينتمى إليها. (أبو حاقه، ١٩٧٦م: ١٩٨ و١٩٩)

ومثل هذا التفكير لم يكن معروفاً عند شعراء العرب بهذا الوضوح قبل عهد الرصافى ولم يكن معروفاً بهذا الوضوح أيضاً عند كثير ممن عاصروه ونرجح أن الرصافى قد اهتدى إليه بعد أن قرأ شيئاً من الأدب الماركسى وتأثر بالنظرية الاشتراكية وفى شعره بعض الإشارات إلى معطيات ماركسية تدل على أنه قد ألمّ بعض الإلمام بهذا المذهب من ذلك قوله:

يعيش الناس فى حال اجتماع

وتكثر للتعاون والتفادى

ولو ساروا على طرق انفراد

فتحدث بينهم طرق انتفاع

على الأيام بينهم الدواعى

ولما كانوا سوى همج رعاع

(الرصافى، ٢٠٠٦م: ٢٩٣)

يريد الرصافى أن الحالة الاجتماعية أحدثت بين الناس طرقاً للانتفاع والتعاون؛ أو أن شعورهم بلزوم التعاون ألجأهم إلى أن يعيشوا مجتمعين ينتفع بعضهم بمعاونة بعض؛ فالتعاون هو أساس الاجتماع ولو أنهم عاشوا منفردين لما كانوا إلا كسائر الحيوانات يعيشون فى بؤس وشقاء وأيضاً يقول:

وما مدنية الأقسام إلا

تعاونهم على غر المساعى

ولم يصلح فسادُ الناس إلا

بمالٍ من مكاسبهم مُشاع

تشاد به الملاجىء لليتامى

وتتمتار المطاعم للجياع

(نفس المصدر: ٢٩٥)

ففى هذه الأبيات إشارة صريحة إلى بعض تعاليم الماركسية المتعلقة بشيوع الأموال لاستخدامها

فى بناء المرافق العامة وإقامة المؤسسات الاجتماعية التى تؤمن للمحرومين عيشهم وتقدم العون لكل محتاج. وتحقق ما يسمّى بالضمان الاجتماعى الكامل على صعيد الدولة.

أعجب الرصافي بتعاليم الماركسية التي تدعو إلى تمجيد العمل والعمال والعطف على الكادحين وعلى الطبقات الدنيا من أبناء المجتمع لقد انتقد الماركسيون المجتمعات التي تتكوّم الثروات في أيدي فئة معينة من الشعب بينما تعاني الفئة الأكبر الفقر المدقع وهذا يحول دون العدالة الاجتماعية. يطرح الشاعر منذ البداية ناموساً اجتماعياً يظهر للوهلة الأولى أنه مسلمة بديهية بسيطة، لكن عند التأمل، يبدو من أعمق الأفكار أثراً في تغيير المجتمعات البشرية ثم يشرح الرصافي هذا الناموس بعض الشرح، ليترسّخ في أذهان الناس بموجب علمية منطوقة مقنعة فيسلموا معه بنظرية "ماركس" في الإنتاج وعلاقته بالعمال والنظام الاجتماعي. (معروف الرصافي، نار أم كلم: ٨٩ و٩٠) الرصافي والدين

اتهم الرصافي في دينه كما اتهم الزهاوي، ويعتقد "حنا الفاخوري" في كتابه الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث أنه ما هو بالكافر ولا المارق، وإنما هو المؤمن الذي لا يرى الدين في القشور والتعصّب والجهل. الدين في نظره هو الإيمان النير، والعمل الخير. إنه ينكر التزمّت والتشدد، ويتنكر للإكراه في الدين، كما يتنكر للجمود العقلي، وذلك أن الحياة حركة وتطور، ولأبد للدين من مرافقة الحياة، والمساعدة على تطوورها، بالاتفاق مع العقل والعلم. والدين خير وصلاح والتعصّب ظلمة وجهل، وليس من الدين في شيء أن تتناحر الطوائف باسم الدين، وأن يقابح الإنسان أخاه في الإنسانيه باسم الدين الذي لا يقوم إلا على الصلاح. قال: (الفاخوري، ٢٠٠٣م: ٤٩٠)

فيا قومنا إنّ العلوم تجددت فإن كنتم تهوونها فتجددوا
 وخلصوا جمود العقل في أمر دينكم فإن جمود العقل للدين مُفسدٌ
 ولا تقبلوا قيماً بقولٍ مجردٍ فما قيد الأحرار قولٌ مجردٌ

(الرصافي، ٢٠٠٦م: ٨٤)

وقد يشتدّ قلق الشاعر، ويهزه جمود المتشددّين الذين يريدون الدين جامداً في حرفة لا يقبلون لها تفسيراً وفيحاول مهاجمتهم بطريقة فلسفية تنقلب إلى شيء من نكران للدين وشرائعه، فيقول:

لو أن عقل المرء يغلب حبه للنفس لم يلجأ إلى الأديان
 لو لا جمود في الشرائع مهلك لتغيرت بتغير الأزمان

(الرصافي، ٢٠٠٣م: ٢٦٠)

وهكذا ترى الشاعر أحياناً علائق النزعة، مع أنه مؤمن يغار على الدين وعلى المسلمين،

كما يغار على المؤمنين من الأديان الأخرى، وهو يدعو إلى عمل الخير، والتمسك بحبل الإيمان واتباع سبل الفضيلة.

هو يرى أن الإسلام في جوهره تقدّم، وانطلاق، وتحرّر من القيود:
يقولون في الإسلام ظلماً بأنه
يصدُّ ذويه عن طريق التقدّم
فإن كان ذا حقاً فكيف تقدّمت
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلی
وأطلق أذهان الوری من قيودها
وفك إसार القوم حتى تحفروا
فخلوا طريقاً للبدواة مجهلاً
وقد حاكت الأفكار عند اضطرامنا
ولاحت تباشير الحقائق فانجلت
بها عن نبی الدنيا شكوك التوهّم

(الرصافی، ۲۰۰۶م: ۲۶ و ۲۸)

نعم، الرصافی يثور ضدّ كلّ ما هو خاطيء، ضدّ كلّ الأفكار المعوجّهة الإسلام دين ودولة وحضارة مشرقة ولكنه كغيره ظلم والرصافی لا يطبق الظلم. وقف الرصافی مع الدين وقفة المدافع عنه. برأيه الإسلام مظلوم فالإسلام مع التقدّم وليس ضده. فلننبش التاريخ ولنسأله عن المسلمين الأوائل. هو يعطينا الجواب الصحيح أن الإسلام صنو التقدّم وصنو الحضارة. ليس ذنب الإسلام إنما هو ذنب المسلمين ما يحدث من تأخّر. دين الإسلام دين حضارة لكن حمّلة الدين يسيؤون إليه. وكان يرى أن الدين وسيلة يتوسّل بها الطامعون للوصول إلى آمالهم ومآربهم ولقد ركت هذه الوسيلة مع تقادم الزمن فأصبحت رمّة لا تحملهم فاستعاضوا عنها بأحبولة جديدة قوية هي الفكرة الوطنية، فقال :

لايخدعنك هتاف القوم للوطن
أحبولة الدين ركت من تقادمها
فالقوم في السر غير القوم في العلن
فاعتاض عنها الوری أحبولة الوطن

(الرصافی، ۲۰۰۶م: ۳۹۴)

الرصافی والبؤس والفقير

كثيراً ما عرض الرصافی للبؤس والبؤساء، والفقير والفقراء، واليتم والإيتام، حتى لُقّب

بـ"شاعر البؤساء" قال في حديث له: «كانت مشاهد البؤس من أشدّ الدواعي عندي إلى نظم الشعر» ولمشاهد البؤس هذه أوصاف عنده وأقاصيص، والأوصاف مبثوثة في شتى قصائده، تقع عليها هنا وهناك من ديوانه، وهى أبداً واقعية الصورة قاتمها، ينتشر الحزن والألم فيها انتشاراً شديداً، يحاول الشاعر أن يجعلها في إطار مؤثر، ويبدى عندها آراءه الإصلاحية، وانتقاده للسُّلطة الغافلة أو الظالمة؛ وأما الأقاصيص الحزينة فنجدها في قصائده المشهورة من مثل "اليتيم في العيد" و"الفقر والسقام" و"أمّ الطفل في مشهد حريق" وقد ظهر الشاعر في هذه القصائد بمظهر الإنسانية التي تحتضن الشقاء احتضاناً، وتحاول بلسمة الجراح بعاطفة خيرة، وروح كريمة حافلة بالحنان والشفقة، وقلب كبير تملأه المحبة لبني الإنسان، وعين سخية تذرف الدَّمع على شقاء البشر. وكثيراً ما نراه فيها يتوجه إلى الله تعالى طالباً الرحمة للبائسين، ويتوجّه إلى الأغنياء طالباً الشفقة ومدد المعونة: (الفاخوري، ٢٠٠٣م: ٥٨٣)

أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما إن رحمتهم
سهر البائسون جوعاً ونمتم بهناء من بعد ما قد طعمتم

من طعام منوع وشراب

كم بذلتم أموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السّفاه
وبخلتم بها بحق الله أيها الموسرون بعض انتباه
أفتدرون أنكم في تباب؟!

(الرصافي، ٢٠٠٦م: ٨١)

والشاعر يأسى للحالة الرزية التي وصلت إليها بلاده، فأهمل فيها الشعب إهمالاً شنيعاً وأصبحت فيها السجون مقابر للأحياء، والشوارع أخاديد أصبح فيها الهواء غباراً والتراب أقداراً، وقد انتشر الفقر والشقاء والمرض، وراح الرصافي يصف كل ذلك في شعر يذوب عاطفة، وتعصف به الغيرة على الوطن وأبنائه، كما تعصف به النقمة على المسؤولين.

في ديوان الرصافي عدّة قصائد قصصية روى فيه أخبار البؤس والشقاء وأراد أن يقدمها للضمير الإنسانيّ نماذج من المآسى التي تتعاقب فصولها على مسرح الحياة العراقية والشرقية، ومن أشهر هذه المآسى قصّة "بشير وأخته فاطمة" التي رواها الشاعر في قصيدته "الفقر والسهام". وأيضاً "الأرملة المرضعة" و"المطلقة".

النتيجة

طغت موجة التجديد عند العرب في الشعر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وتجلت في العمران، والأخلاق، والتقاليد، والعادات، والأزياء، والعلوم، والفنون، والآداب، والفكر، ونظم العيش الاجتماعيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة.

استطاع معروف الرصافي في قالة الحق من آرائه وأفكاره وحاول أن يستخدم الشعر وسيلة إلى غايات وأهداف إنسانيّة وهو من أوائل الطليعة الواعية المتحرّرة ومهّد الطريق لثورة شعريّة رائعة للذين لازموا وتتلّمذ عليه ولشعراء ما بعده كـ"نازك الملائكة" و"بدرشاكر السيّاب".

المصادر والمراجع

- أبو حاقه، أحمد. ١٩٧٦م. الإلتزام في الشعر العربي. بيروت: دار العلم للملايين.
- بقاعى، إيمان يوسف. ١٩٩٤م. معروف الرصافي نار أم كلم. بيروت: دار الكتب العلميّة.
- خورشا، صادق. ١٣٨١ش. مجاني الشعر الحديث ومدارسه. طهران: مطبعة سمت.
- الرصافي، معروف. ٢٠٠٦م. الأعمال الشعريّة الكاملة. الملجدان الأول والثاني. بيروت: دارالعودة.
- روزنتال، م.ل. ١٩٨٣م. الشعر والحياة العامّة. ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- على، مصطفى. ٢٠٠٠م. ديوان الرصافي. بيروت: دارالمنتظر.
- الفاخوري، حنا. ٢٠٠٣م. الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث. بيروت: دار الجيل.
- فياض، عبدالله. ١٩٧٥م. الثورة العراقيّة الكبرى سنة ١٩٢٠م. بغداد: مطبعة دارالسلام.
- نادري، اسماعيل. «معروف الرصافي محلل اجتماعي للفقر والحرمان». فصلية دراسات الأدب المعاصر، خريف ١٣٨٩ش. العدد ٨. صص ١١١-١٢٤.
- الوردى، على. ١٤١٣ق. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. العراق: مطبعة الشريف الرضى.